سلسلة عمار عبد البحار (٢)

عمار
والقرش المفترس

بقلم

هشام الصياد

رسوم

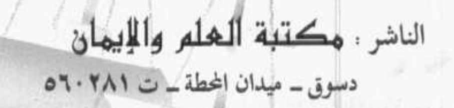
محمد مصطفى

مراجعة لغوية

مصطفى كامل

الناشر

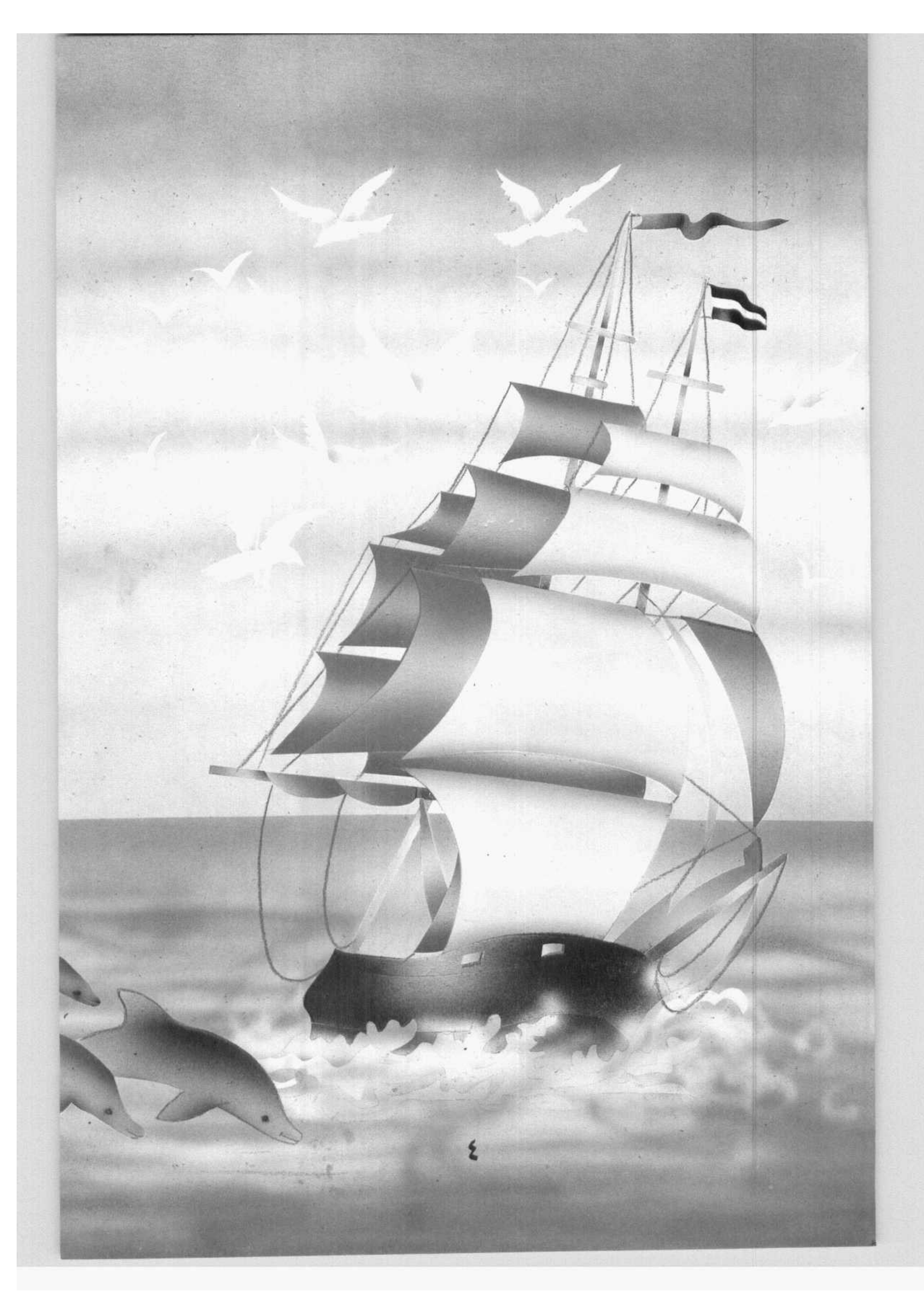
مكتبة العلم والإيمان

الناشر : مكتبة العلم والإيمان

دسوق ـ ميدان المحطة ـ ت ٥٦٠٢٨١

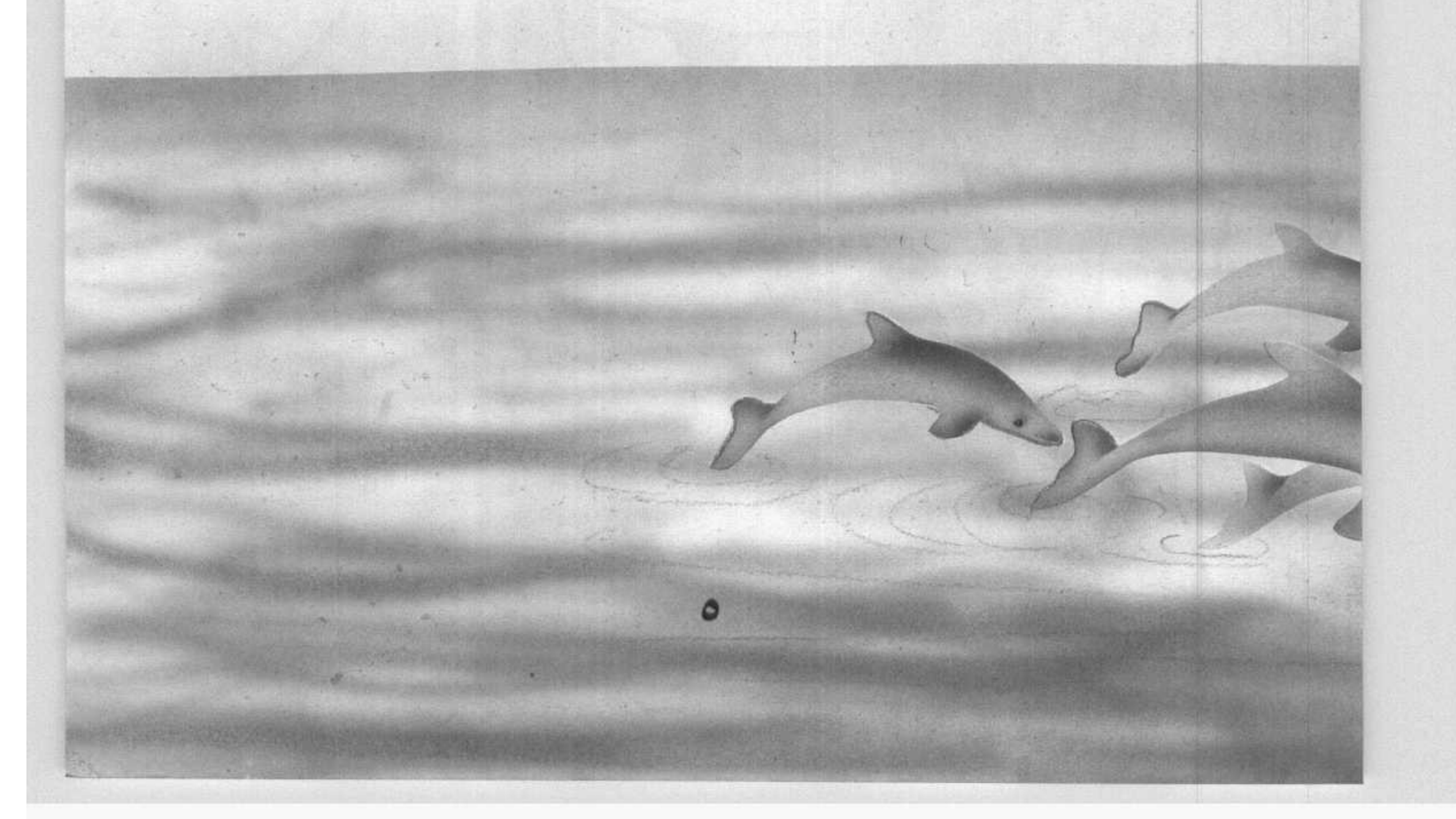
مقطم جرافيكا هوم
٧ شارع عبد العزيز ـ عابدين ـ القاهرة
ت : ٣٩٠٧٢٩٩ - ٣٩١٢٩٨٩

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٧ / ٨٤٥٨
ISBN 977-5744-40-7

انطلقت السفينةُ (عروسُ البحر) فى عرضِ البحرِ
تشقُّ طريقَها وسْطَ الأمواجِ التى راحت تعلُو بها وتهبطُ،
وتجعلها تهتزُّ يمينًا ويسارًا.



ثمَّ تهدأُ وتتركُها تسبحُ بسلامٍ تحت أشِعَّة الشمسِ الدافئةِ التى أشرقتْ فى السماءِ الزرقاءِ وأخذت تتوارَى خلفَ السُّحُبِ البيضاءِ حيناً وتشرقُ بلونها الذهبىِّ الجميلِ حيناً آخرَ، وعشرات من طيور النوْرَسِ تطير فوق السفينةِ بلونها الأَبْيض الشاهِق الذى يماثلُ لون الثلجِ الناصعِ ويشبه لونَ القطنِ الزاهِى وكأنه يحرسُ السفينة من أىِّ خطرٍ يقتربُ منها بينما كان هناك حراسٌ آخرون من نوعٍ آخرَ إنهم أصدقاؤُنا من أسماكِ الدرافيلِ التى راحت تسبحُ حولَ (عروسِ البحر) ثم تقفزُ فى الهواءِ وتقومُ بحركاتٍ بهلوانيةٍ قبل أن تسقطُ مرةً أُخْرى فى الماءِ وكأنها تقومُ بتحيةِ أهل السفينةِ وتداعبهُم كنسماتِ الهَواءِ الرقيقةِ وتمحُو التَوَتُّر وتشيعُ فى الصدر السكينةَ..



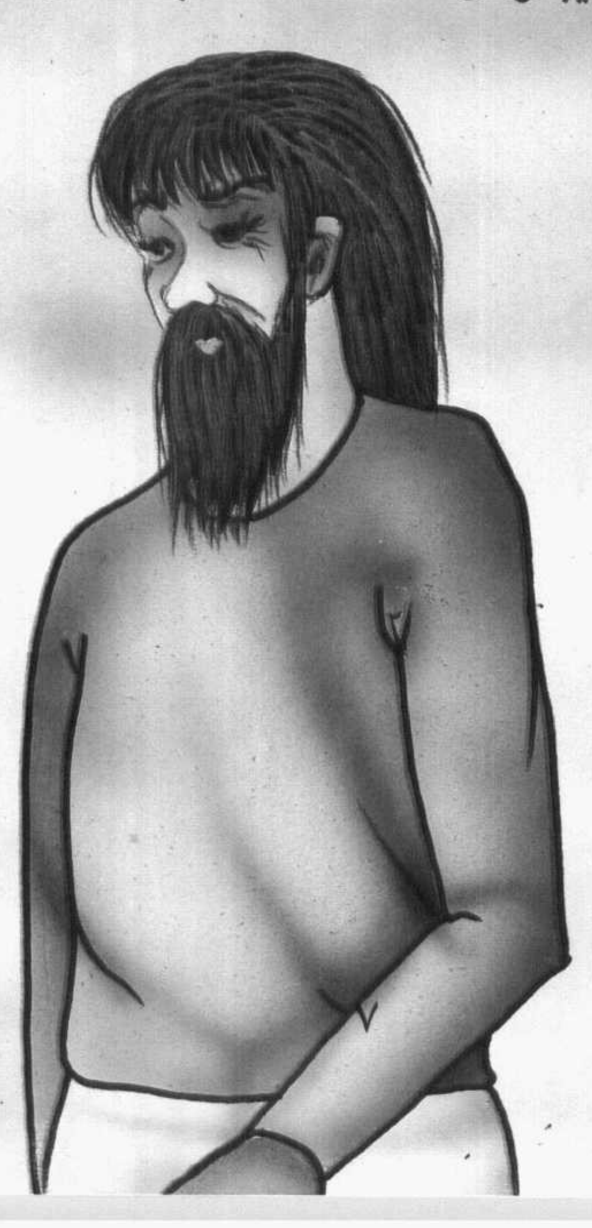
وعلى متنِ السفينةِ (عروسِ البحر) كان (عمَّارُ) يقف في شموخ بجسده الرياضيِّ وقامته الفارهةِ وعينيه السوداوين المليئَتين بالذكاءِ والشجاعةِ والحماسِ، وإلى جوارهِ تقفُ شقيقتُه الصُّغْرى (فيروزُ) بوجهها المليحِ وشعرها الكستنائِّى المسترسلِ على كتفيها وعينَيها الزرقاوين بلون السَّماءِ وصفائها مما زادهَا جمالاً وبراءةً.



بينما كان عمُّ (مرجانُ) يقفُ فى مؤخرةَ السفينةِ يحمى ظهْرها ويتأمل الأمواجَ المتلاطمةَ بعَيْنَيْه الضَّيقتينِ وشعرهِ الأَشيب وجسدهِ النحيلِ الذى يعبر عن سنواتِ عمرهِ الطَّويلة، وفجأةً أفاقَ من شرودهِ على صوتِ (فيروزِ) تصيحُ: يا إلهى.. إننا نواجهُ كارثةً نظر عمُّ (مُرجانُ) إلى حيث أشارت (فيروزُ) فرأى سربًا من أسْمَاك القرْشِ المفترسة تحيطُ السفينةِ وكأنها تتربصُ بها...... وعلى الفورِ صَاح عمُّ (مُرجانُ) قائلاً :

يجب أن نضاعفَ من سرعتِنَا.

هتف (عمار) : يبدو أن هذه الأسماك تبحث عن فريسة.





أشارت (فيروزُ) بسبابتها إلى البحر قائلة: انظرا. نظر صديقانا إلى حيثُ أَشارت فوجدَا سمكةً طافيةً فوق الماء والدماءُ تنزفُ منها بغزارة.

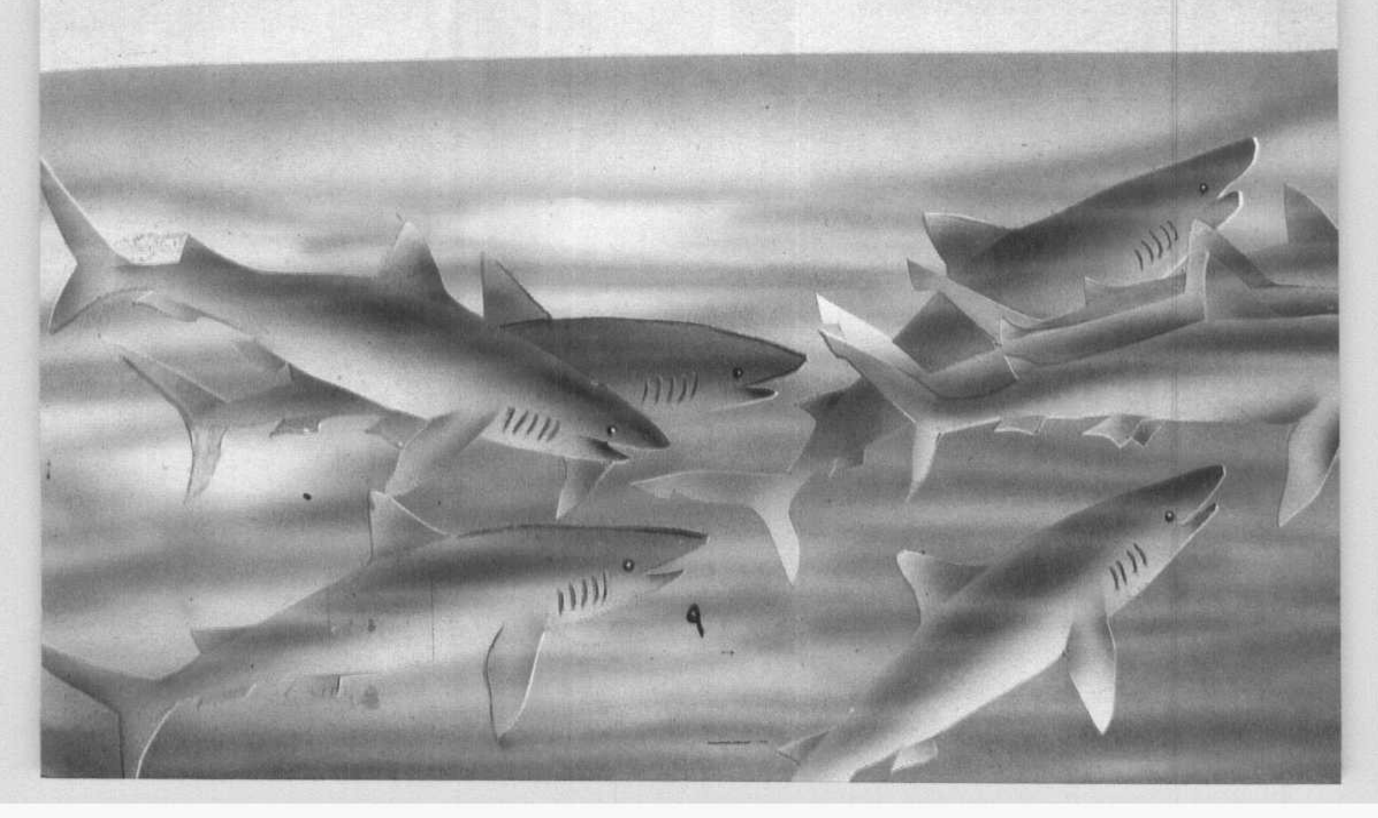
فقال (عمار): يبدو أن رائحةَ الدماءِ قد اجتذبت هذا القدرِ الهائلِ من أسماكِ القرشِ.

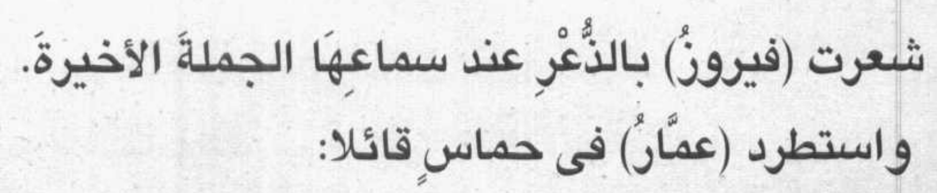
أجابه عمٌّ (مرجانٌ) بقوله: لابدَّ أنْ أحدَ أسْماكِ القرشِ فتكَ بهذه السمكةِ المسكينة ودعا بقيةَ زملائه على الوليمةِ.

وبعد أن ابتعدتْ الأسماكُ المفترسةُ التفتتْ (فيروزُ) إلى شقيقها وسألته في شغف : أريدُ أن أعرفَ الكثيرَ عن أسماكِ القرشِ... طبيعتِها.. وحياتِها.. وأنواعِها. ابتسم (عمارُ) ثم أجابها بقوله:

حسنًا سوف أحدِثُك عنها. قال هذه العبارة ثم أكملَ حديثَه قائلا:

تشتهرُ بعضُ أسماكِ القرشِ مثل بعض الحيوانات المفترسةِ فِي أفريقيا وآسيا بلقب غير مستحب وهو (آكلةُ الإنسان) لأنها قد تتمكن من مهاجمةَ ضحَايا السفنِ الغارقةِ والسابحين على انفراد.





شعرت (فيروزُ) بالذُّعْرِ عند سماعِهَا الجملةَ الأخيرةَ.

واستطرد (عمَّارُ) فى حماسٍ قائلا:

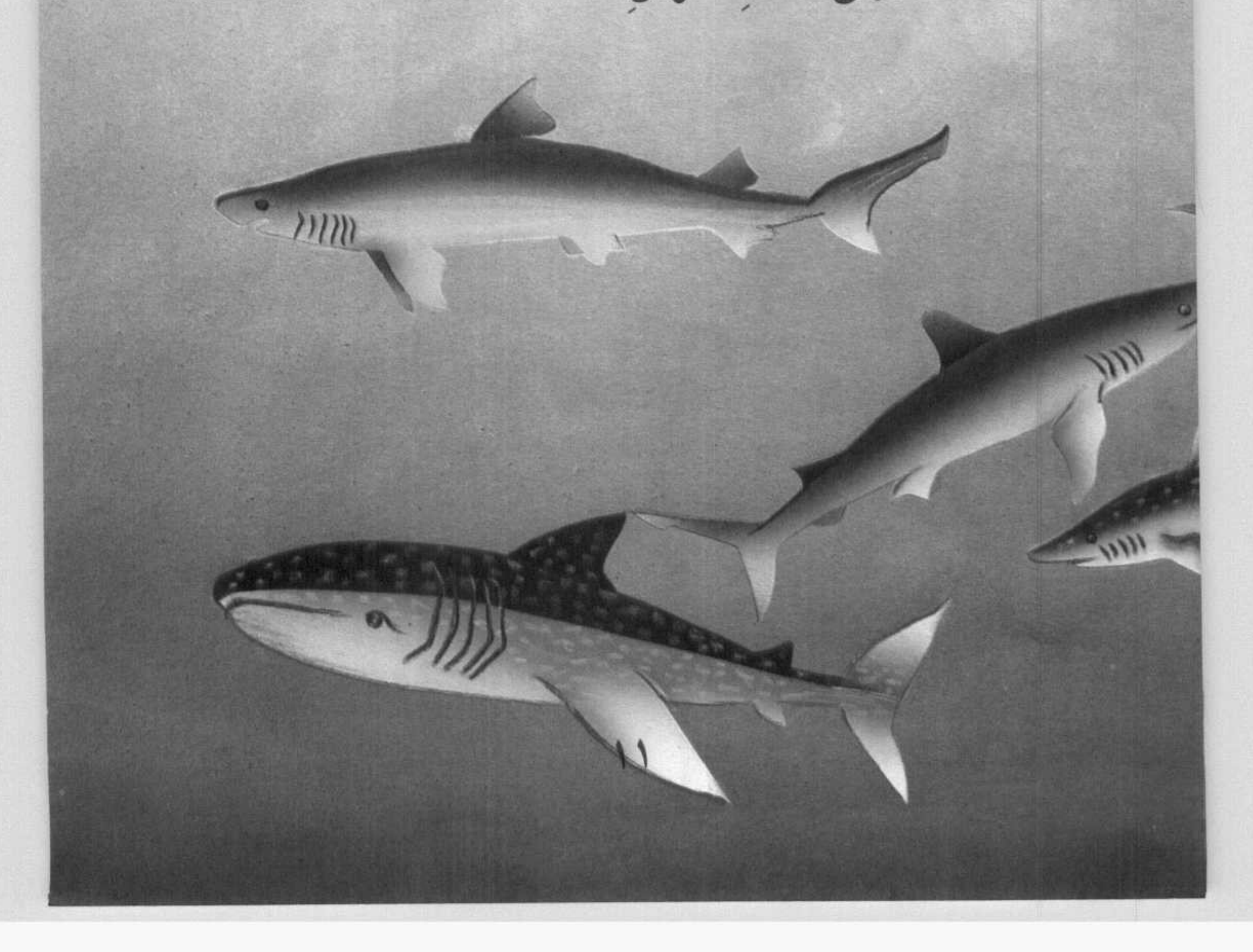
معظمُ أسماكِ القرشِ ذاتِ أجسامٍ طويلةٍ نوعًا ما انسيابيةٍ، ولها عينانِ وفتحات خيشوميةٍ على جانبِ الرأسِ، وللقرشِ جهازٌ عضلىٌّ قوىٌّ جدًا ويمكنُ أن يُقالَ أن جسمَ القرشِ فى الواقعِ كله يتكونُ من مجموعاتٍ عضليةٍ باستِثْنَاءِ الهيكلِ، وأقوى عضلتينِ هما الجانبيتان اللتان تمتدان من الرأسِ إلى زعنفةِ الذيلِ وهما يمنحانه قوةَ الدفعِ، فمثلاً يمكنُ للقرشِ الأزرقِ الغطسَ بسرعةٍ تفوقُ سرعةَ غواصةٍ سريعةٍ جداً.

قال هذه العبارةَ ثم استطردَ وسط اهتمامِ (فيروزُ) وعمِّ (مُرجان) قائلاً :

يوجد القرشُ فى معظم بحارِ العالمِ ومن غيرِ المعروفِ على وجه اليقينِ ما إذا كان القرشُ ينامُ، فهو يبدوُ دائمًا سابحًا بدون توقفٍ باحثًا عن الطعامِ والويلُ له إذا جُرح لأن آخرين من بنِى جنسهِ يهاجمُونَه ويفترسُونَه فهم متعطشُون للدماءِ كما رأيتما منذ قليلٍ، وتوجد القروش الكبيرة أساسًا فى المياهِ الاستوائيةِ فيوجد الكثيرُ منها فى البحرِ الأحمرِ وخليج المكسيكِ والبحار المحيطة باستراليا.

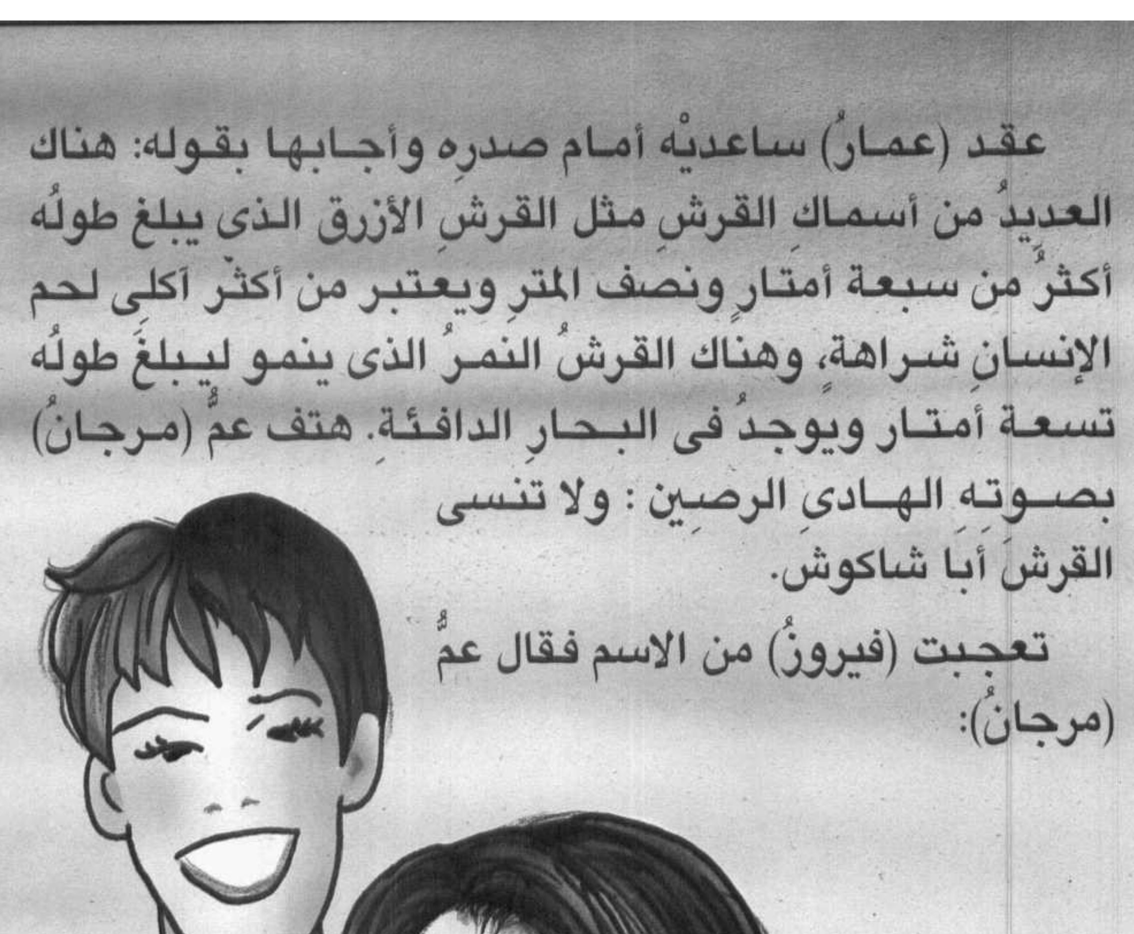
سألته (فيروزُ) باهتمامٍ شديدٍ :

ترى ما أنواع سمكِ القرشِ؟



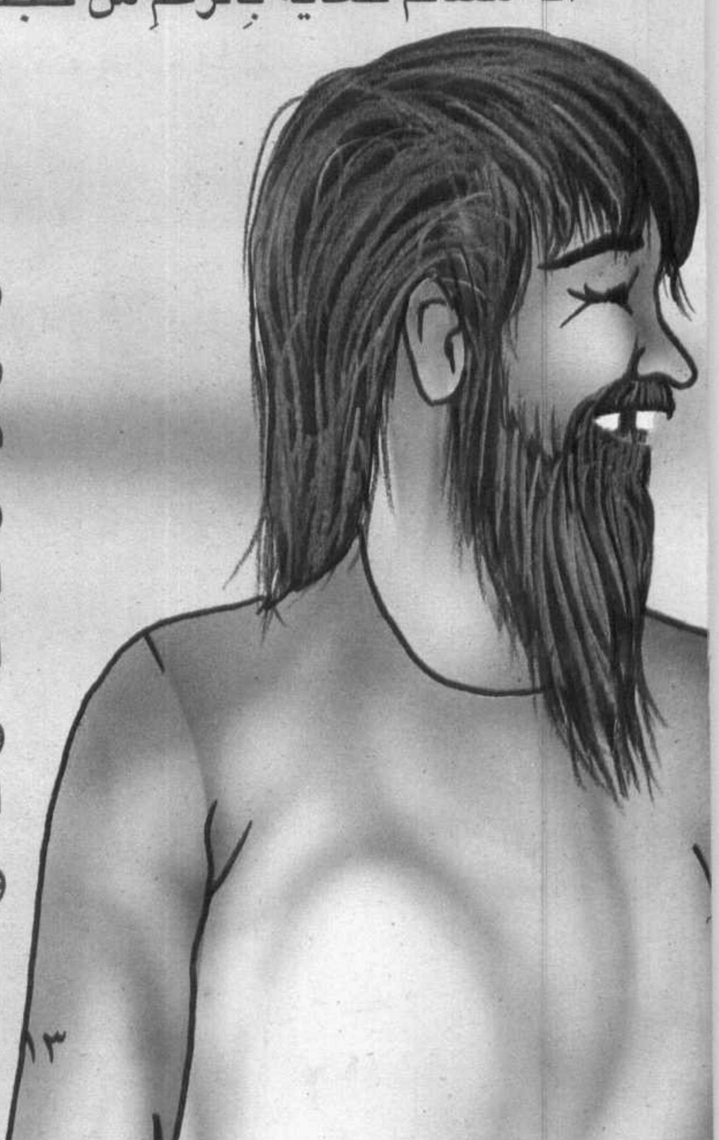
عقد (عمارُ) ساعديْه أمام صدرِه وأجابها بقوله: هناك العديدُ من أسماك القرشِ مثل القرشِ الأزرق الذى يبلغ طولُه أكثرُ منَ سبعة أمتارٍ ونصف المترِ ويعتبر من أكثرَ آكلى لحم الإنسانِ شراهة، وهناك القرشُ النمرُ الذى ينمو ليبلغَ طولُه تسعة أمتار ويوجدُ فى البحارِ الدافئةِ. هتف عمُّ (مرجانُ) بصوته الهادئِ الرصينِ : ولا تنسى القرشَ أبَا شاكوش.

تعجبت (فيروزُ) من الاسم فقال عمُّ (مرجانُ):



لقد أُطلق عليه هذا الاسمُ لأن رأسه يشبهُ المطرقةَ ويبلغ طولهُ أربعة أمتارٍ ونصف، وهناك أيضًا القرشُ الأبيضُ العظيمُ وهو أخْطر آكلٍ ومفترسٍ للإنسانِ ويبلغ طوله اثنى عشر مترًا ويزن أكثرَ من طنٍ ويبلغ طولِ أسنانه ٧,٥سم للسِنَة الواحدة. شعرت (فيروزُ) بالذعرِ الشديدِ فأكمل (عمار) الحديثَ بقوله:

ويصلُ قرشُ الحوت وهو أكبر الأسْماكِ جميعًا إلى ثمانيةَ عشرَ مترًا ووزنُه سبعةُ أطنانٍ ولكن ما يدعو للاستغرابِ هو أنه مسالمٌ للغاية بِالرغمِ من حجمه الكبيرِ ويتغذى على أنواعٍ صغيرةٍ من الأسْماكِ، وهناك القرشُ الضاربُ أو الثعلبُ الذى يبلغ طولُه ستة أمتارٍ، ويزن حوالى طنين وله جسمٌ رشيقٌ وذيلٌ طويلٌ يستخدمُه فى اصطياد السمك الصغير وذلك بضربِ أو قلبِ الماءِ المحيط به بذيلهِ حيث يتجمعُ السمكُ فى مجموعاتٍ آمنة ومن ثمَّ يفتحُ القرشُ الضاربْ فمه الكبيرُ ويبتلعُها.

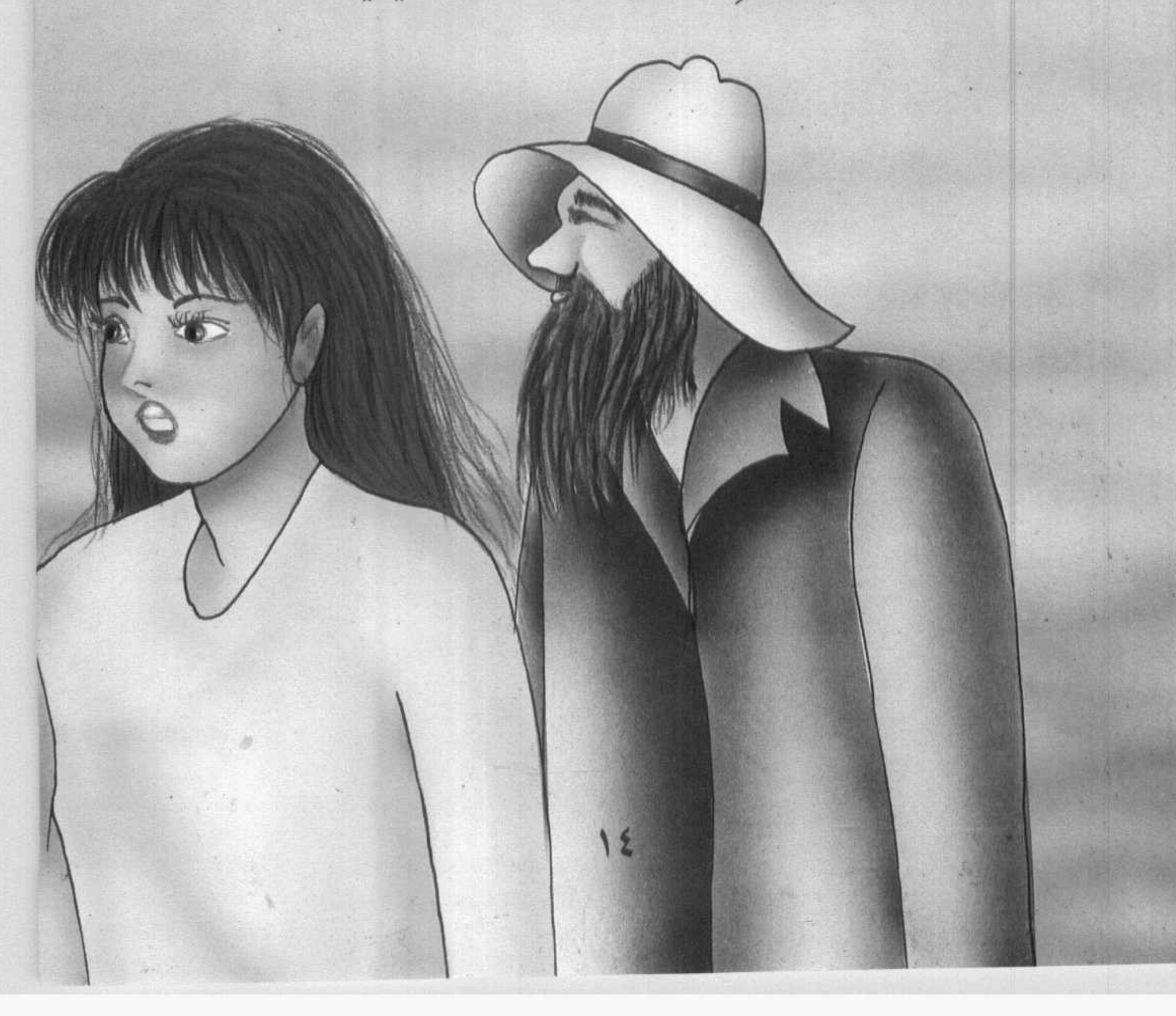


قـال عمُ (مـرجـانُ) : نـعم .. لقـد شـاهـدتُ أَحـدهـم وهـو يدفع السمكَ الواحدةَ تلو الأُخْرى إلى فمهُ مستخدمًا ذيله فى ذلك.
بدأ الاهتمامُ على وجه (فيروزُ) دون أن تنطق بكلمةٍ واحدةٍ.

فقال (عمارُ) فى حماسٍ:

وهناك أيضًا القرشُ الطحَّانُ الذى يبلغ طُولُه مترًا ونصف المتر ويعيشُ فى الأماكنِ التى يكونُ قاعها طينيًا وينتشرُ فى مصبِّ نهرِ التيمسِ وهو ولودٌ وقد يلد ثلاثين قرشًا صغيرًا فى المرةِ الواحدة .

وهناك أيضًا القرشُ الطحَّانُ الذى يبلغ طُولُه مترًا ونصف المتر ويعيشُ فى الأماكنِ التى يكونُ قاعها طينيًا.



ويَنتشرُ فى مصبِّ نهرِ التيمِس وهو ولودٌ وقد يلد ثلاثين قرشًا صغيرًا فى المرةِ الواحدةِ .

سألته (فيروزُ) فى اهتمام : ولكن لماذا يصطاد بعضُ الصيَّادين أسماكَ القرشِ؟

أجابَها وهو يعلُو ويهبطُ من السفينة التى تحركُّها الأمواجُ والرياحُ قائلا : يصطادُ الناسَ القرشَ للاَستفادة من كبده الذى يحتوى على كميات عظيمة من الزيت الغَنىِّ بالفيتاَمينات ، ولحمه الذى يكونُ ممتازًا خصوصًا فى الأنواع الصغيرة، وجلده الذى يستعملُ أحيانًا كبديل لورقِ الصنفرة فيستعملُ لإزالَةَ خشونة وتلميعِ الخامات الصلبة فى المعادنِ كما يمكَنُ تصنيعهُ إلى جَلود، وزَعانفه التى تستخدمُ بعد تجفيفها بأشعَّة الشَّمْس كغذاءٍ وخاصة عند الصينيينَ وأَسْنانهِ التى تستخدمُ فى صنع أدواتِ الزينةِ.



كانِ عمُّ (مرجانُ) يستمعُ إلى الحديث وهو مُمْسكُ بسنارته التى ألقاها فى البحر علَّهُ يصطادُ سمكةً ضخمةً تصلحُ للغذاءِ وفجأةً شعرَ بشىءٍ ما يجذبُه من السنارة حتى سقط فى الماء وظل مُتشبثًا بسنارَتهَ وذلك الشىءُ يجذبُهُ فى سرعة شديدةٍ بعيدًا عن السفينة وصرخت (فيروزُ): ياَ إلهى.. عم (مرجان).. لقد افتقدنَاهُ.

تمتم (عمارُ) فى دهشةٍ وهو يهمُّ بالقفزِ فى الماءِ: إنه شيطانُ البحرِ.

سألته (فيروزُ) فى دهشةٍ: وما هو شيطانُ البحرِ هذا؟

أجابها شقيقُها وهو يقفزُ فى الماء : سأشرح لك كل شىء فيما بعد.

وقفزَ فى الماءِ وراحَ يصارعُ الأَمْواجَ العاتيةَ إلى أن وصلَ إلى عمٍّ (مرجان) وجذَبَهُ بشدةٍ من براثنِ ذلك المخلوقِ العجيب وسبح به فى اتِّجاهِ السفينةِ (عروسِ البحر) وفجأةً ظهرت مجموعةً من القروشِ المتعطشة للدماءِ وهمت بالانقضاضِ على صديقيْنا فى شراسةٍ مما اضطر (عمارُ) إلى جرحِ إحداها بالمديةِ التى معه فاجتذبت رائحة الدماءِ بقية القروشِ وراحت تلتهمُ زميلها المصابَ وابتعدت عن (عمَّار) وعمٍّ (مرجان) اللذين صعدا إلى السفينةِ بسلامٍ وبدأ (عمَّارُ) يشرح ما حدث قائلاً: لقد جذب عم (مرجانَ) إحْدى الأسماكِ من نوعِ الوطْواطِ أو الخفَّاش، فجانبا الجذعِ ممتدان على شكلِ جناحينِ مثلثينِ والذيلُ سوْطِىٌ طويلٌ به شوكةٌ مسننةٌ أو أكثر ويبلغ طولهُا ستَّة أَمْتارٍ، ووزنُها طنٌ ونصف طنٍ تستطيعُ بقوتها أن تجر قوارب الصيادين إلى مسافاتٍ طويلةٍ ولذا أسمُوها بشيطان البحرِ.

وهنا قال عم (مرجان) : ولكنى حزينٌ على فَقد سنَّارتى.

نظر (عمارُ) إلى (فيروزُ) وانفجرا ضاحكيْن على هذه الدعابة.... وعلى أمل لقاءٍ جديدٍ ومغامرةٍ جديدةٍ.